الباب الثامن

فيما يكتب واوا أو ياء ويتلفظ به فى الوصل

همزة وما يكتب ياء ويتلفظ به فى الوصل واوا

obeikandl.com

obeikandl.com

(١) من المقرر كون الكتابة تابعة للابتداء والوقف فالهمزة الساكنة بعد همزة وصل مضمومة تكتب واوًا وبعد المكسورة تكتب ياء لأنه فى الابتداء ينطق بها كذلك وإن كانت فى الوصل ينطق بها همزة نحو (فليؤد الذى اؤتمن أمانته) ونحو ائتمن الأمين. هذا ما لم يتقدم الهمزة الأولى واو أو فاء فى الماضى والأمر من باب الافتعال المهموز الفاء أو فى الأمر من مثل أتى وإلا حذفت الهمزة الأولى ورسمت الثانية ألفًا إذا أمن اللبس نحو فأتمن الأمين. فأتوا بكتاب وأتمنك على - وأتمر بأمرك - وإذا لم يؤمن اللبس فلا حذف نحو ائتم وائتلف فإنه عند حذف ألفه يشتبه بأتم وأتلف كما إذا تقدم على ما ذكر غير الحرفين المذكورين لأن الفاء والواو كجزء من الكلمة.. ولذا لم يصح الوقف عليهما ووصلت الفاء بما بعدها خطا ولولا المانع الطبيعى للواو من وصلها لوصلت ولذلك استقبح وضعها آخر السطر.

(٢) وكذا أول فعل الأمر من المثال (والمراد به هنا الفعل الذى أوله واو بشرط أن يكون من باب علم يعلم) نحو وجل يوجل وود يود يكتب ياء نظرًا للابتداء بهمزة الوصل مكسورة وينطق به واوًا عند ضم ما قبله فى الوصل نحو يا مؤمن ايجل من هيبة الله وعلىّ أيدد إخوانك.

* * *

خاتمة

لما كان اللفظ يحذف فيه بعض الكلمات اتكالا على فهم السامع أو توقيف المعلم وينحت من الكلمتين كلمة كالحسبلة والبسملة والحمدلة وكان الخط نائبا عنه استعمل الكتاب ما يشبه ذلك فى الكتابة وسموه الرمز كأن يؤخذ من اسم الشهر حرف أو أكثر نحو (م) محرم (ص) صفر (را) ربيع الأول (ر) الثانى (جا) جمادى الأولى (ج) الثانية (ب) رجب (ش) شعبان (ن) رمضان (ل (شوال) ذا) ذو القعدة (ذ) ذو الحجة. وكأن يؤخذ من اسم الشيخ المؤلف حرف أو حرفان أو منه أول حرف ومن لقبه أو بلده حرف آخر نحو (س) لسيبويه) و(سم) لابن قاسم العبادى و(م ر) للإمام الشيخ محمد الرملى و(ح ل) للحلبى و(ق ل) للقليوبى و(ع ش) للشيخ على الشبراملسى و(ض) لضعيف و(م) لمعتمد و(ص) للمصنف بفتح النون أى التن و(المص) للمصنف بكسر النون و(الش) للشارح و(ش) للشرح و(ثنا وثنى وأنا ونا) فى الصحيحين البخارى ومسلم مقتطعة من حدثنا - حدثنى - أنبأنا - أخبرنا. . و(إلخ) إلى آخره و(اهـ) انتهى و(مم) ممنوع و(لايخ) لا يخفى و(ع م) عليه السلام. وكذا (صلعم) أو (ص م) وهذه الأربعة الأخيرة من اصطلاحات العجم ولكل من علماء المذاهب الأربعة والفنون الأخرى رموز نحو ذلك ينبهون على مدلولاتها فى أوائل كتبهم وفى جميع ذلك ينطق بالأسماء المتعارفة دون أسماء حروف الهجاء وقد نهى علماء الدين الأفاضل عن كتابة الرمز بدل لصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأن فيه إعراضًا عن اكتساب الثواب العظيم الوارد فى حديث (من صلى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

يقول مؤلفه قد فرغت من تأليفه فى غرة سنة ألف وثلثمائة وتسعة عشر هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

أمال عمومية

١

يأيها التلاميذ يجب عليكم من الآن أن تتفكروا فى المستقبل وتنظروا فيما سيؤول إليه شأنكم فإنكم لا تستمرون على هيئتكم التى أنتم عليها الآن ولا تكونوا صغارًا على ممر الأيام ولا يبذل آباؤكم الدرهم والدينار لإبقائكم فى المدرسة مدّه الحياة وسوف يأتى وقت تكونون فيه أنتم المكلفين بالسعى فى طلب المعيشة والقيام بمصالح شؤونكم فإن كنتم حينئذ غير أكفاء لذلك يسوء حالكم ويضيق معاشكم وتحتاجون إلى سؤال الغير وربما يكون المسئول من لئام فئة سيئة تتلاءكم عليكم بدنيئات خصالها ونضنّ بما لديها فى مساعدتكم فتبوءون بندم ولات ساعة مندم وبعدئذ يؤلمكم تكاسلكم إيلاما يضعف شبيبتكم ولات حين مناص.

٢

يحكى أن غلاما كان يتفسح مع آبائه ذات يوم على شاطئ نهر النيل وقت فيضانه فرأى الماء عكرًا مختلطًا بمواد طينية وقال لوالده أهذا الماء هو الذى نشربه فى منزلنا. فقال والده اعلم يا ولدى أن مياه الشرب منشؤها نهر النيل وفروعه وهذه المياه تحتوى على أوساخ وأقذار ناشئة مما يرى فيها ومملوءة أيضًا بمواد طينية فلا تصلح للشرب إلا بعد أن تصفى.

واحذر يا ولدى من أن تشرب الماء غير نقى فإن ذلك يجلب لك المرض والألم وأنشد قائلا:

وإذا مـا شـربت صـافـى مـاء عـشت فى مـأمن من الأعـلال

فـانـتق الماء والهـواء لتـحظى مـدّة الـعـمـر بالـصـفـاء الغـالى

٣

لا يخفى عليكم أيتـها الفئة الحـديثة أنكم ترسلون إلى المدرسة لتـعرفوا شؤونكم وتدرسـوا العلوم التى تضىء فؤادكـم لتكونوا من السعـداء الفائزين العظماء النافعين فتقرءون القرآن الشـريف وتتعلمون القراءة والكتابة والحساب والجغـرافيـا التى بها تعرفـون أقسـام الأرض وسكانها وصنائعـهم وعوائدهم وتتعلـمون أيضًا التـاريخ الذى ينبئكـم بأعمال الأمم السـالفة ومـا فيـها من الحسنات والفـضائل والسيـئات والرذائل وتعرفـون اللغات الأجنبيـة لضرورة الاحتـياج إليـها عند مـخاطبـة أولى اللغات الأوروباوية وتدرسـون الطبيـعة والكيمياء وعلوما أخرى شتى تؤهلكم لأن تكونوا أئمة حائزين الشرف تنفعون أنفسكم وتفيدون وطنكم.

٤

يحكى أنه قصدت السـوق امرأتان إحداهما تسـمى دعد والأخرى هند وكانتا تحـملان على رأسيهمـا سلتين مملوءتين سفرجلا فـأخذت الأولى تظهر السآمة للأخرى التى لم تبال بما تحمله وتضك فعجبت من ضحكها فقالتلها لا عجب فإنى معى نوعا من المرهم خاصتـه تخفيف الأحمال فقالت أعطينى منه جزءا أو قولى لى على اسمه فقالت لها اسمـه الصبر فضحكت مثلها وعملت بنصيحة أختها.

٥

لا يخفى أن معاملة جميع الناس بارفق والرأفة من دلائل الطباع المعتدلة وأخلاق الرجال الكملة وهى مما يوجب الائتلاف والائتناس قال المولى جل وعلا: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» وروى عن خاتم أنبيائه أنه قال: «ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة» وقال عليه السلام: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن».

٦

يحكى أن فتى حسن الهيئة سيئ السريرة بذىء اللسان ردىء الطباع دنىء الخصال مجردًا عن الحياء والأدب كان إذا وقعت رؤيته على عيب بأحد بادره بأسوأ سوء يسيئه ويستهزئ به استهزاء ويتبرأ من جنسيته ويظهر أمام ملئه أنه منبرئ من ذلك ويغتابه بأفظع الفضائح إلى أن بلاه الرءوف الأعلى بالحمى والجدرى فحملا عليه حملة ينوء عن عبئها كاهله وكادت تكون هى القاضية لكنه نجا من مخالبها مجدورًا بهيئة سيئة رديئة وحاق به سيئ فعله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

٧

يحكى أنه كان بالشام رجل يسمى طاهرًا الهاشمى يقدر أئمة العلماء حق قدرهم مات أبوه وخلف له مالا جزيلا فأنفقه على الشعراء والبؤساء واليتامى والأيامى فسمع بذلك البحترى فنظم له مدحة وتوجه بها إليه فقيل له إنه قعد فى داره لديون ركبته فاغتم البحترى لذلك وبعث المدحة إليه فعندما

وقف عليها طاهر الهاشمى صار يئن أنين الثكلى ويبكى بدل الدموع دماء وأبى جوده إلا أن يبيع داره بثلثمائة دينار ثم أخذ صرة وربط فيها مائة منها وأنفذا إلى البحترى وكتب إليه معتذراً.

٨

نزل صبى إلى النيل فى فصل الصيف ليغتسل وكان ماهرا فى السباحة جداً فكان يغوص تحت الماء تارة ويطفو عليه حينا فاختبط فى الماء وصرخ وصاح قائلا أغيثونى أدركونى مظهرا أنه على وشك الغرق فبادر إليه رفقاؤه وجذبوه إلى الشاطئ فلما خرج سخر بهم وضحك وقال إنى أستهزئ بكم ولم يلحق بى أدنى خطر وبعدئذ فى الغد صرخ مكرراً قوله أغيثونى فقد غرقت فضحك قرناؤه يستهزئون ولم يعبئوا به غير أنه ما لبث وقتئذ أن توارى عن العيان فقال رفقاؤه يفعل ما فعل بالأمس وعن قريب يطفوا على الماء ولكنه وا أسفاه لم يظهر ومات غريق الكذب.

٩

يحكى أن صبيًا صغير السن يسمى إبراهيم كان قدوة لرفقائه فى جميع شؤونه ينظف ملابسه نظافة تامة ويعتنى بالمحافظة عليها كل الاعتناء فترى ملابسه نقية من الأوساخ ولهذا كان والده لا يتكلف شراء ملابس غيرها إلا نادراً وكان سائر بدنه نقيًا من الوسخ بسبب محافظته على النظافة وكانت أدواته المدرسية نظيفة مرتبة أحسن ترتيب فى درجه ومع هذا كان يتميز عن رفقائه فى حركاته وسكناته. فكان يسير أحسن سير ويقف أكمل وقوف بهيئة أدب وخشوع ويبادر بألطف سلام على من أتى لزيارة والده وكذلك يقرأ السلام على رؤسائه ورفقائه كل يوم عند حضوره إلى المدرسة وقت الصباح

ولذلك ترى ألسنة الجميع منطبقة بالثناء عليه ويحبونه حبا شديداً لتهذيبه وحسن سيره ونظافته وآدابه.

١٠

أوصى سيدنا عمر بن الخطاب سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنهما فقال أوصيك بتقوى الله وبالمهاجرين الأولين وبالأنصار خيراً. فاقبل من محسنهم، واعف عن مسيئهم وبأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء العدو وجباة الفيء. لا تحمل فيئهم رلا عن فضل منهم. وبأهل لبادية خيراً فإنهم منشأ الإسلام وأصل العرب. وبأهل الذمة خيراً ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمني وبالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم وآمرك بألا تأخذك رأفة فى أمر الله وحدوده فى شأن أحد حتى تنتهك منه مثل ما انتهك ولا تأخذك فى الله لومة لائم فإن عملت بالذى وعظتك به أخذت نصيبًا وافراً إن لم تقبل ذلك يكن بك انتقاصًا ورأيك فيه مدخولا لأ الأهواء مشتركة ورأس كل خطيئة إبليس الذى أضل القرون السالفة قبلك ولبئس الثمن أن يون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعى إلى معاصيه ولا تضر بجماعة المسلمين فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفيء فتكون مبغوضًا. ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم.

١١

خطب سيدنا عمر بن الخطاب يوما فى ملئه فقال:

يأيها الناسَ إنه أتى علىّ حين من الدهر وأنا أحسب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ألا وقد خيل لى أن قوما يقرءون القرآن يريدون به ما عند الناس ألا فأريدوا الله بقراءتكم رحم الله امرأ أهدىإلينا مساوينا. استعدوا

للجواب فـإنكم مسئولون. المؤمن من لم يأخـذ دينه عن رأيه ولكن أخذه من قبل ربه. ولا يصبـر على الحق إلا من عرف فضله ورجا عاقبـته وكان إذا قرأ ألهاكم التكاثر قـال عمّ ألهاكم عن دار الخلود رحم الله امرأ خـلا بكتاب الله تعالى فـعرض عليه نفـسه فإن وافقـه حمد ربه وسـأله الزيادة من فضله وإن خالفه رجع وتاب.

١٢

يا عبـيد الدنيـا وطأتم النصح بأقدامكم لا تعـبئون بـه ونبذتموه وراءكم ظهريا وحملتم لدنيا فوق رءوسكم لا يشممئز من أعبائها امرؤ منكم دأب فيها وسعى لاقتناء ثمراتها ويلكم لا عبيـد أنقياء ولا أحرار كرماء يا أجراء السوء. الأجر تأخذن والعمل لا تؤدون عمـا قليل تتأكدون مما تحذرون يوشك بارئكم أن ينظر فى العـمل الذى أفدتم وفى الأجـر الذى أخذتم تبـدءون قبل قـضاء الدين بالنوافل وفى الأجر الذى أخذتم تبدءون قـبل قضاء الدين بالنوافل وما أمركم به لا تأتون إن رب الدين لا يقبل الهدية حتى يؤتى دينه.

١٣

سيدى كان منى التباطؤ فى تشييع الرسالة إليك ولكنى أؤمل منك العفو وأنا أولى به وتلك الساحة من يؤمـها فقد أم الكعبـة التى من دخلها كان آمنًا أردت أن أؤدى ما أمر به السيد بغاية الإحكام فاستدعى ذلك التؤدة والبطء فى العمل لعـرضه على الثقات الهـداة دون الطغاة ولله الحمد على حـصول المنى بعد العنا وها هى الرسـالة أقدمها إليك عسى أن تحظى بحظوة السـيد إن شاء جل وعلا غير أنى لدى كتابتها ارتبت فى رسم كلمات منها فالرجاء أن تنبئنى عن رسمها الحـقيقى وما فيه الخطأ وهى التبـوء والتبرؤ وأئنك وأؤنبئك وهاؤم

اقرءوا ورؤى (رئى) وهأنذا وهأنتم فإن تفضل السيد بإرشادى أكن عبد ذاك النادى والسلام.

١٤

يأيها الملأ أفتونى فى أمر امرئ من بنى دؤل رأيته بالزوراء مشتملا الصماء وقاعدا القرفصاء وفى الأوار يصطلى حر الرمضاء يرنو إلى بمقلة كحلاء ودموع حراء ويتنفس الصعداء ويبكى ولا بكاء الخنساء كأنه يشكو من طوارئ الدهر ومصائبه وما ألم به من رزاياه ونوائبه فدنوت منه لأقف على كنه مخبئه ثم سألته قائلا ما الذى أبكاك يا هذا لقد جعلت فؤادى جذاذاً وقطعت كبدى أفلاذاً فأجابنى قائلا إنى امرؤ من بنى إسراءيل آمنت بالمولى الرءوف جل وعلا وبأنبيائه ورسله وأتيت إلى بيته المحرم لأطوف مع الطائفين وأصلى مع لقائمين وأحظى بزيارة قبر المصطفى ﷺ وأدعو البارئ عز شأنه أن يعفو عنى من مآثم ارتكبتها وبحار غى خضتها وآجال فى المعاصى أفنيتها ثم اختفى عن ناظرى ومضى وما أدرى أعرج به إلى السماء أم ولى مدبراً فى الفلاء والصحراء.

١٥

قد يدرك الحازم ذو الرأى المنى بطاعة الحزم وعصيان الهوى

شتان ما بين امرئ حازم رأيه. ومتباطئ مهمل أمره فترى ذا الحزم متئداً فى الأعمال، وئما بنصايح الرجال، متعظًا بعظات أولى النهى وإذا تراءى له شىء عرضه على أهل الشورى الألى يأتمنهم فيسترشد بآرائهم المتلألئة تلألؤ النجوم فى السماء دئبا فى تأدية الواجبات غير مكترث بالمشقات عالما بأن الحرّ يحمل العبء الثقيل ويأتزر بمئزر الصبر الجميل. لا يألوا جهداً فى الأعمال.

مستـأصلا ما ربما يعـوقه عن نيل الآمال. لا يرجئ ولا يؤخر إلى غـده كلما استطاع فعله اليوم ويبـوئ لنفسه أحسن مبوأ فى أندية القـوم بريئًا من وصمة اللؤم متبعًا فى ذلك قول السموءل:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

الجد ملء فـؤادهوالثبات أشـهى مراده وبحزمـه وأصالة رأيه يدرك المنى ويعلو ذرا العلا وأما من شق العصـا واتبع الهوى فقد طغى وبغى وهو خليق بأن يخطئ المرمى تراه طائشًـا يميل مع الرياح كلما هبت بطىء الأعمـال سيئ الأحوال يؤم الكسالى والحمقى وقصارى أمره الضعة والابتذال. جوانحه ملأى بالدعة والخمول ترى السآمة من السـمات التى عنه لا تزول تشنؤه وتشمئز منه الفـضلاء ويلحظونه بعـين ملؤها ازدراء بينه وبين اللئـام وئام وليس بينه وبين الفضلاء التـئام ليس من صفاته مـجانبة السيـئات ومعاداة قـبيح العادات ولا المبالاة بلوم اللائمين ونصائح الناصحين.

إنما تنجح المقالة فى المر ء إذا صادفت هوى فى الفؤاد

١٦

الاعتماد على النفس

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل

كل امـرئ حيث يضع نفـسـه فالمرء الذى يلتـجئ إلى الكسل ويتـضع للكوارث ويتكل على السوءى فى حاجيـاته ويتسم بالدعة ولا يكترث بشؤونه ويتخذ الخـمول أهنأ مبوأ له يخطئ ولا ريب المنى ولا يرتقى سلم العـلا بعيد ارتقاؤه قـريب ابتلاؤه فالتبـاطؤ فى الأعمال أدنى شيـمة ولطالما أعيا التـباطؤ

الرجال عن بلـوغ الكمال لا سيـما وأنه يسـأم العمل ويأس مـن نيل الأمال ويمسى أليف الضنى حليف العنا ردىء الحال كاسف البال

إنما الميت من يعيش كئيبًا كاسفًا باله قليل الرجاء

١٧

المرء الذى يخلع عنه رداء الدعة ويأتزر بمئزر الجد تراه لا يعول فى أموره إلا على نفسه لا يؤخر عمل اليوم إلى الغد.

فلا أؤخر شغل اليوم عن كسل إلى غد إن شغل العاجزين غد

يتمسك بـالثبات ويأتمر بأوامر الثـقات لا يفتخر بأبيـه وجده. بل بكده وجده يحمل العبء ويحلو له مر الصبر.

الحر للعبء الثقيل يحمل والصبر عند النائبات يجمل

فيـأيها النشء اخلعوا عنكم رداء الكـسل وقوموا بأنفـسكم وليكن الجد ملء أفئدتكم وكـونوا من أولى الحزم العزم الألى يستـسهلون الصعب لإدراك الآمال.

١٨

لقد طمـا بحر التـآليف والمؤلفات فى زمن خلفـاء بنى العبـاس وكانوا يصلون الثقـات من المؤلفين بالصلات العظمى وكـانت الأشعـار تقرب الناءى وتنئى القريب وقد أتى امـرؤ القيس برقيق الأبيات. الأبيـات التى تطمئن لها الأفئـدة ولا تسأمها الأسـماع وكانت العرب يتـفاءلون ويتشاءمـون ويطرقون بالحصى وكانت تئـد البنات حتى جاء الإسلام فأبقى ما أبقى ومـحا الوأد وما خالف الآداب من تلك العادات.

فيأيهـا النشء الراغبون فى التحلى بحلى أولى الألباب قـد أنبأتنا الأنباء أن أسمى الآداب أدب الأنـبياء. ذلك فـضل الله يؤتيه من يـشاء. أدب الإله سيدنا محـمد بن عبد الله بن عبد المطلب وسليـمان بن داود وهارون ويحيى وإسماعيل وإسحق وجميع أنبيـائه عليهم الصلاة وأزكى التسليمات وجعل لنا الأدب أرقى صناعة والعقل أغلى بضاعة.

١٩

مـــا وهب الله لامـــرئ هبـــة أفـــضل مـن عـــقـله ومـن أدبه

همـا حيـاة الفـتى فـإن فـقـدا فـــفـــقـــده للـحـيـــاة أليـق به

ما ذاك إلا أن العـقل موئل الخطاب ورأى الأعـمال به يحـيا الاخـتراع والآراء السديدة وتبـتدئ الحضـارة فى العمران وتنشأ المـنشآت وترقى الصنائع فتعم كل قاص ودان وتقرأ العلوم ويعرف البارئ جل وعلا فعليه تدور الرحى وعنده تلقى العصا يمسى ذو العقل وبين كساءيه هيبة وكمال وملء رداءيه غنى ونوال مغفـورة خطيئاته يدأب بقريحتـه إذا هدأت القرائح ويمنح آراءه كل غاد ورائح ويدرأ بعزائمـه طوارئ الأيام فهو فى فكر دائم لا يسأل عـن الحياة ولا يخشى من الممـات بخلاف الجاهل الـناءى عن العقل فإن همـه فى زاد مرىء يقوم منآده وسعـيه وراء شراب هنىء يثقف صـعاده فبئست النـعمى تقود إلى الهوى وتوقع فى الردى.

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

فأتزروا يأيها المؤدبون بمئـزر الجد والنشاط فإلام هذا التبـاطؤ وحتام ذاك اللهو وعلام تركنون وبمقتضام تتقـدمون إذا تركتموه وراء ظهوركم فكونوا ممن

يبلى فى الهيجاء ويلقى دلوه فى الدلاء والعاقل من ارعوى والسلام على من اتبع الهدى.

٢٠

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

اعلموا يأولى النهى أن الصدق أصل المروءات ورأس الفضائل عنوان الثقات الهداء قال عمر بن الخطاب لأن يضعنى الصدق وقل ما يفعل خير من أن يرفعنى الكذب وقل ما يفعل ولم لا يكون كذلك وقد طؤطئت لصاحبه ارءوس وعنت لهيئته النفوس فهيئوا نفوسكم له تؤوبوا بفائدته وعليكم بالثبات فى مؤاخاة ذوى الهيئات الأولى لا يرضون بسوى الذرا.

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

ولتؤدوا الأمانة لمن ائتمنكم وكونوا ممن يقال فيه:

وإذا أوتمنت على الأمانة فارعها إن الكريم على الأمانة راع

وليستعن المرء على قضاء حوائجه بالكتمان قال تعالى: «يا بنى لا تقصص رؤياك على إخوتك» وقال عمر بن العاص لصدور خزائن الأسرار والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره. وقال القائل:

ولست بمبد للرجال سريرتى ولا أنا عن أسرارهم بسؤول
ولا أنا يوما للحديث سمعته من هاهنا إلى هاهنا بنقول

٢١

ائتموا بمن وضؤوا وتبوءوا أسمى مبوأ وأتزروا بمئزر التجمل لئلا تزدرى هيئتكم فتشمئز منها العقلاء وامشوا الهوينا ولا تطأطئوا رءوسكم تردأ رؤيتكم ولا تكونوا طائشين فتمل بكم الأفكار كلما سنحت واعلموا أن الناس شتيفى الشيم وأن القلوب ملأى بالضغائن فاجبروا كسرها وإن كانت بطيئة الالتئام ودعوا الجدال والمكابرة فإنها تنفر القلوب واعفوا عمن لم يسلك من السخط طريقا حتى يأخذ من الرجا طريق الهدى فربما يكون ردءا. والسعيد من ائتمر والعاقل من ارعوى.

٢٢

أما بعد فإنى توسلت إليك فى طلب نائلك بأسباب الأمل وذرائع الحمد فرارًا من الفقر ورجاء للغنى وازددت بهما بعدا مما فيه تقربت وقربا مما فيه تباعدت وقد قسمت اللائمة بينى وبينك لأنى أخطأت فى سؤالك وأخطأت فى منعى أمرت باليأس من أهل البخل فسألتهم ونهيت عن منع أهل الرغبة فمنعتهم.

٢٣

أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ابتأتنى بلطف عن غير خبرة وأعقبته جفاء من غير ذنب.

فأطمعنى أولك فى أخائك وآيسنى آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأى فيك فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف والسلام.

٢٤

عبد الله المأمون أخو الأمين

بويع البيعة العامة فى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة وكان من أفاضل الخلفاء وعلمائهم وحكمائهم وحلمائهم أتم رجال بنى العباس حزما وعزما وفراسة وفهما وكان قد أخذ من العلوم بقسط وضرب فيها بسهم وتأدب وتفقه وبرع فى فنون التاريخ والأدب والنجوم ولما كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الأول وهو الذى استخرج كتاب إقليدس وأمر بترجمته وعقد المجالس فى خلافته للمناظرة فى الأديان والمقالات وكان المأمون عظيم العفو جوادا بالمال وكان يقول لو يعلم الناس ما أجد فى العفو من اللذة لتقربوا إلىّ بالذنوب وكان أبيض ملي الوجه مربوعا طويل اللحية دينًا عارفا بالعلم فيه دهاء وسياسة وفى أيامه خرج عليه إبرهيم بن المهدى عمه فبايعه بعض بنى العباس وخلعوا المأمون فجد المأمون فى المسير إلى بغداد فظفر بإبراهيم ولم يؤاخذه وأحسن إليه.

٢٥

السكك الحديدية

حدث عن فوائدها ولا حرج انظر بم قربت المسافات ومحيت الكروب، وذللت الصعوبات، وزالت الخطوب ومحيت الكروب. بعد أن كان الإنسان يعد السفر قطعة من العذاب، ويرى أن الإقامة من الصواب لما كان يراه من اقتحام الأخطار وجوب القفار لصوص تسفك وحيوانات تفتك، وبضاعة تتلف ودراهم تصرف، وزمن يضيع سدى وضلال عن طريق الهدى. ليل

(١) من أمالى امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠١.

حالك وحيوان هالك. تأمل بم أحكمت الصناعة ونمت الزراعة أو بم نشرت رايات العلوم في كافة لأنحاء، وقرب البعيد وربطت الأرجاء. ربط الاسم بمسماه، واللفظ بمعناه، وخف عن الحيوان عبء ثقيل ووضح للإنسان سواء السبيل. أو بم تيسر للعلماء وأرباب الحرف والصنائع التنقل إلى البلاد البعيدة والاطلاع على سائر الوقائع، فكثرت المعارف واتسعت العوارف. أو بم عم الاستعمار والاتجار، وسهل السفر بالليل والنهار. أو بم كان وكان مما لو أردنا إحصاءه وقصدنا استقصاءه. لكنا كمن عد رمال الدهناء، أو حصر نجوم أسماء أبغير السكك الحديدية كل ذلك (كلا)-والذى قال فى كتابه المكنون: «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون».

٢٦

مقادير الرجال بجلائل الأعمال

من المشاهد أن الأعمال كثيرة متفاوتة فى أهميتها وكثرة فائدتها وبحسبها تتفاوت العمال فى الفضل والمقام إذا لفرق بين رجل يجرى فى الطرق أمام لعجلات ورجل يرشد الخلق ويهذبهم ويعلمهم ما يفيدهم فى دينهم ودنياهم كالفرق بين ذرة من الكائنات والكون كله فمشهوروا الرجال الذين قادوا لأمم إلى ما فيه نجاحهم وثروتهم وراحتهم وسعادتهم لم ينتشر صيتهم فى الدنيا إلا بما بينوه للناس من المعارف التامة والفوائد العامة حتى استنار بهم الكون فمنهم هداة الخلق إلى خالقهم ورجال السياسة الذين ساسوا الناس إلى طرق الخير وضبطوا أعمالهم وأحوالهم ورجال العلم الذين رفعوا مناره وأظهروا عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات فكثرت الأرزاق واتسعت أبواب المعيشة

واستـقام الناس وانتظمت أحـوالهم فهؤلاء هم رجـال الأعمـال الذين أفادوا البلاد ونفعوا العباد فسعدت بهم الأوطان وافتخر بهم الزمان والمكان.

٢٧

من تأنى أدرك أو كاد ومن اسـتعجلأخطأ أو كاد. الـتؤدة خلاف البطء فى العمل. الكريم مأواه مأوى البؤسـاء بوىء لرئيسك فى المجلس أرقى مبوأ إذا سألت فاتضع وإذا سئلت فلتتكرم إذا أجـاد مرءوسك العمل فكافئه بأوفى مكافـأة كن حسن الـهيـئة لئـلا يشنأك الناس والذى تشنـؤه الناس يسومـونه الخسف. المرء العاقل يـشنأ كل ما يشين المروءة وكلما نأى عن الشبـهات علا قدره. التـدبير والنظام كم ملأا المـنازل بركة فإلام ألام وحـتام القلى والملام. إياك وفحش القول فإنه يبوئ إليك بـالصدى. لا تؤنب أحباءك ولا تن عليهم بنعمائك.

وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم وإن كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

الهوان مرأمة اللئيم. لا تؤخر عمـلا فربّ ما تؤخره اليوم لا يتسنى لك عمله غداً وانتهز الفـرصة فى مبدئها فربما تبلغها السـعادة فى الرضا والسلامة فى التقوى ومن يؤم الكرام يـعد بالإكرام. وصلى الله على سيدنا مـحمد فى المبدأ والختام.

* * *